

أترى القصة تحتاج إلى تعليق؟ ألا ترى معي فيها التمهيد والعقدة والنهاية؟ وللبحتري بعد ذلك قصص قصيرة منها الفرس الذي أهده له المتوكل، أهديتني أعجوبة هي في العجائب نادرة فرس كأن هُوبه وشك الرياح الطائرة في ليلة قَطَعَ المسافة من هنا للآخرة الله جارك في انطلاقك تَلْقَاءَ شامك أو عراقك لا تعذلي في مسيد رك يوم سِرَت ولم أَلَقك إني خشيت موافقاً للبين تَسْفَحُ غَرَبَ مَاقِكُ وذكرت ما يجد المودع عند ضمك واعتناقك فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك وفرسان هيجاء تجيش صُدورها تقتل من وتر أعز نفوسها إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها شواجر أرمح تُقطع بينهم وكننت - أمين الله - مولى حياتها لعمرى، لقد شرفته بصنيعة تألفهم من بعد ما شردت بهم بأحقاها حتى تضيق دروعها عليها بأيد ما تكاد تطيع تذكرت القُربى ففاضت دموة 42 من 54 شواجر أرحام علوم قطوعي ومولاك (فتح) يوم ذاك شفيعها إليهم ونعمى ظل فيهم يشيعها حفاظ أخلاق بطيء رُجوعها فأبصر غاويها المحجّة فاهتدى وأمضى قضاء بينها فتناجرت فقد ركزت سمر الرماح، وأعمدت فقرت قلوب كان جماً وجيبها ربطت بصلح القوم نافر جأشها وأقصر غاليها ودانى شسوعها ومحفوضها راض به ورقيها رفاق الطبا مجلوها وصنيعها ونامت عيون كان نزرًا هجوعها فقرت حشاها واطمأنت ضلوعها وذكر صلات القُربى والرَّحِمِ والرماح تقطعها بأيد ما تكاد تطيعها، وتنتهي القصة بنهاية مشرفة سعيدة. وأنسه تحمل عنه ساكنوه فجاءة إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت كأن لم تبت فيه الخلافة طَلَقَةً ولم تجميع الدنيا إليه بهاءها فأين الحجاب الصعب حتى تمنعت وأين عميد الناس في كل نوبة تخفي له مغتاله تحت غرّة ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي فلا ملي الباقي تراث الذي مضى والمُلكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ وبهجتها والعيش غض مكاسره بهيبتها أبوابه ومقاصره تنوب، وناهي الدهر فيهم وأمره؛ وأولى لمن يغتاله لو يُجاهرُهُ درى الفاتك العجلان كيف أساوره ولا حملت ذاك الدعاء البحتري ذلك الصائغ العبقري، لم تعرف العرب قبله موسيقى كتلك الموسيقى التي يعزف بها شعره في أناقة من الأسلوب وفي أعراس من اللفظ، وقد التأم كلاهما على المعنى الشريف الذكي، فكان هذا الشعر الخالد الذي توارثناه عن الأجيال. تَسَلُّ إلى شعره على غير قصد منه، وكأنه يُسليك بقصته، اقرأ معي: